***Dirasat*: Shari'a and Law Sciences, Volume 49, No. 4, 2022**

Deanship of Scientific Research

Al-Dhikr (The Qur'an) between Sending down and Guarding: Studying Interactive Relationships between them

Yusra Ahamd Tawfiq Al- Yabroudi*

Department of Foundations of Religion, School of Shari'a, The University of Jordan, Jordan.

Received: 21/4/2021
Revised: 7/6/2021
Accepted: 13/3/2022
Published: 1/12/2022

* *Corresponding author:*
y.yabroudi@ju.edu.jo

Citation: Al- Yabroudi, Y. A. T. . Al-Dhikr (The Qur'an) between Sending down and Guarding: Studying Interactive Relationships between them. *Dirasat: Shari'a and Law Sciences*, *49*(4), 44–53.
https://doi.org/10.35516/law.v49i4.3296

© 2022 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This research aims at demonstrating the interactive and participatory relationships between sending down al-Dhikr (The Qur'an) and its guarding through identifying specific verses that indicated the miracle of sending down and guarding the Qur'an. The study revealed the interactive and participatory relationships demonstrated by the verses related to sending down the Qur'an and its guarding, for example its association with the aspects of guarding, guidance, goodness, blessing, and universality. The study then revealed the impact of the Holy Qur'an on people and communities based on its impact on the Islamic society since the era of the Prophet Muhammad, PBUH, to the present day.

Methods: The inductive approach by exploring places where verses of sending down and guarding of the Qur'an were mentioned, followed by the analytical approach represented in studying interpreters' analyses.

Results: The study indicated the existence of various interactive and participatory relationships in the verses related to the Qur'an sending down and guarding, indicating its comprehensiveness since it was sent down till the Day of Judgment, and the most important of which is the association between sending down the Qur'an and the truth, guidance, goodness, blessing, universality for their impact on individuals' life.

Conclusions: The need to prepare new studies that demonstrate the features of the Qur'an, especially the universality of the Da'wa (call for Islam) advocacy it contains.

Keywords: Al-Dhikr (The Qur'an), sending down, guarding, relationships, impact.

الذكر ما بين التنزيل والحفظ: دراسة للعلاقات التفاعلية بينهما

يسرى أحمد توفيق اليبرودي

قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، الأردن.

ملخّص

الأهداف: يهدف هذا البحث إلى بيان العلاقات التفاعلية والتشاركية بين تنزيل الذكر الحكيم وحفظه، من خلال الوقوف على آيات من الذكر الحكيم التي دلت على معجزة التنزيل والحفظ، فأظهرت الدراسة جملة العلاقات التفاعلية والتشاركية الدالة عليها آيات تنزيل الذكر وحفظه، كارتباطها بالحفظ، والهداية، والخير والبركة، والعالمية، ثم توقفت الدراسة عند الكشف عن أثر القرآن الكريم في حياة الأفراد والمجتمعات من خلال الغاية المقصودة من تنزيل الذكر وحفظه، انطلاقاً من تأثيره في المجتمع الإسلامي زمن سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- وحتى يومنا هذا.

المنهجية: اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي من خلال استقراء مواضع ورود ذكر آيات تنزيل الذكر وحفظه، وأعقب ذلك المنهج التحليلي متمثلا النظر في تحليل المفسرين وتأويلاتهم لآيات تنزيل الذكر وحفظه.

النتائج: خلصت الدراسة إلى ظهور جملة من النتائج أهمها: وجود علاقات تفاعلية تشاركية متنوعة في آيات تنزيل الذكر وحفظه، وقد دلت هذه العلاقات على شمولية واسعة منذ نزول القرآن الكريم وحتى قيام الساعة، ولعل من أهم هذه العلاقات ارتباط نزول الذكر بالحق، والهداية، والخير والبركة، والعالمية، فكان لهذه العلاقات أثرها في حياة الأفراد والمجتمعات.

الخلاصة: ضرورة العمل على إعداد دراسات متجددة في إظهار خصائص الذكر الحكيم وسماته لا سيما فيما يخص عالمية الدعوة التي يتضمنها، وما فيه من الخير الوفير.

الكلمات الدالّة: الذكر، التنزيل، الحفظ، العلاقات، الأثر.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

فيعد الذكر الحكيم إحدى المعجزات الربانية العظيمة التي أيد الله بها نبيه الكريم محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم، فأنزله على قلبه الشريف، تطميناً له، وإظهارا للحق على الباطل، فكان وحياً يوحى، وما يزال ترتيلا يقرأ على مرّ الأوقات والأزمان، محفوظاً بحفظ الله تعالى وقدرته من كل تحريف وتبديل ونقص وزيادة، أكسبه الله خصائص متفردة، وأمده بتأثيرات قوية منها ما كان دينيا، ومنها إعجازيا، وثقافيا، وغيرها من التأثيرات التي انعكست بصورة أو بأخرى على مختلف المجتمعات المسلمة وغير المسلمة.

إن ما يميز هذا البحث عمن سواه من الأبحاث التي أفردت الحديث عن القرآن الحكيم هو الكشف عن العلاقة التشاركية ما بين تنزل القرآن وحفظه، ثم بيان الخصائص القرآنية الكريمة التي أودع الله سرها في آيات حفظ الذكر الحكيم، إذ يسعى هذا البحث إلى الكشف عن العلاقات البيانية، والتفسيرية، والمعنوية التي تضمنتها آيات تنزيل الذكر وحفظه، فممّا لا شك فيه أن خصائص القرآن الكريم ككتاب جادت بها قرائح العلماء، وسال فيه الحبر الكثير لا سيما خصائصه الإعجازية والبيانية ككل، ولكن الناظر في آيات تنزيل الذكر وحفظه يدرك أن هنالك أسرارا أودعها الله في هذه الآيات الكريمة، سواء أكانت أسرارا بيانية أو دلالات إعجازية، أو علاقات تفاعلية أو تشاركية.

ومن هنا جاء مقصد بحثي الذي أسميته (الذكر ما بين آيات التنزيل والحفظ، دراسة للعلاقات التفاعلية بينهما) فالقرآن الكريم كتاب الله المنزل المعجز في تصرفه ونظمه وسياقاته ودلالاته، وتأثيراته التي يتركها على جوانب الحياة الإنسانية المختلفة، فلا عجب أن تكون آياته مترابطة، ودلالاتها متنوعة، تشمل دقائق الأمور وصغائرها.

أهمية الدراسة

1- توضيح المعاني الدلالية للفظ الذكر، التنزيل، الحفظ.
2- بيان منزلة آيات التنزيل والحفظ بين آيات القرآن الكريم.
3- بيان أثر آيات التنزيل والحفظ على الفرد والمجتمع.

مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة الدراسة فيما يلي:

1- ما معنى الذكر لغة واصطلاحا؟
2- ما المقصود بآيات التنزيل والحفظ؟
3- ما الدلالات البيانية والمعنوية التي تضمنتها آيات التنزيل والحفظ؟
4- ما الحكمة من إيراد الله- سبحانه وتعالى- في قرآنه الحكيم آيات التنزيل والحفظ؟

أهداف الدراسة

تتمحور أهداف الدراسة في الأمور الآتية:

1- توضيح معاني الذكر، التنزيل، الحفظ.
2- بيان الدلالات التي تضمنتها آيات التنزيل والحفظ في كتاب الله- سبحانه وتعالى- من خلال تفاسير القرآن الكريم.
3- بيان أثر الذكر الحكيم على المجتمعات الإنسانية المعاصرة.

الدراسات السابقة

تناولت كثير من الدراسات والكتب موضوع القرآن الكريم من جوانب كافة، ولكن بحسب اطلاعي لا توجد دراسة مخصصة في موضوع آيات التنزيل والحفظ، وما لهذه الآيات من علاقات تفاعلية وتشاركية فيما بينها، وما لها من تأثيرات فردية واجتماعية على المجتمعات الإنسانية على مرّ التاريخ كما وضحتها آيات القرآن الكريم، علما أن العديد من الكتب حصرت في دراساتها للقرآن الكريم في جوانب محددة، فهذه الدراسة التي حصرت آيات تنزيل الذكر وحفظه، وبينت معانيها، ومضامينها، وعلاقاتها الدلالية والبيانية عند أهل التفسير في مصنفاتهم.

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهجين الآتيين:

- المنهج الاستقرائي، وذلك باستقراء الآيات القرآنية الكريمة التي أشارت إلى تنزيل الذكر وحفظه، وبيان معانيها الدلالية في سياقها الذي وردت به.
- المنهج التحليلي: وذلك من خلال دراسة مفهوم التنزيل والحفظ الوارد في الآيات القرآنية، وتحليلها تحليلا علميا موضوعيا، وبيان دورها وأثرها في المجتمعات الإسلامية على مرّ التاريخ.

خطة البحث: اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى ثلاثة مباحث جاءت كما يلي:

- **المبحث التمهيدي: المفاهيم اللغوية والاصطلاحية.**
- المطلب الأول: الذكر لغة واصطلاحا.
- المطلب الثاني: التنزيل لغة واصطلاحا.
- المطلب الثالث: الحفظ لغة واصطلاحا.
- **المبحث الأول: الذكر ما بين العلاقات التفاعلية التشاركية والدلالات البيانية في آيات التنزيل والحفظ.**
- المطلب الأول: ارتباط تنزيل الذكر بحفظه.
- المطلب الثاني: ارتباط تنزيل الذكر بالهداية.
- المطلب الثالث: ارتباط تنزيل الذكر بالخير والبركة.
- المطلب الرابع: ارتباط تنزيل الذكر بالعالمية.
- **المبحث الثاني: أثر علاقات تنزيل الذكر وحفظه في المجتمعات الإنسانية.**
- المطلب الأول: الإسهام التدريجي في التأسيس للمجتمع الإسلامي.
- المطلب الثاني: استمرارية بناء المجتمع الإسلامي وحفظه.
- **الخاتمة.**
- **التوصيات.**
- **قائمة المصادر والمراجع.**

المبحث التمهيدي: المعاني اللغوية والاصطلاحية للذكر، والتنزيل، والحفظ.

المطلب الأول: الذكر لغة واصطلاحا.

جاء في معاجم اللغة أن الذال والكاف والراء أصلان؛ الأول: ذكره يذكره ذِكراً وذُكراً، الذكر الحفظ للشيء وتذكره، والشيء يجري على اللسان قال تعالى: ﴿واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ (البقرة: 63) والذِكر والذِكرى بالكسر، والذُكرة بالضم نقيض النسيان، واجعله منك على ذُكر وذِكر بمعنى وما زال ذلك مني على ذِكر وذُكر بالضم أعلى؛ أي: تذكر، والذكر ما ذكرته بلسانك وأظهرته، والذُكر بالضم ذكر القلب وتذكره، والأصل الثاني: التذكير خلاف التأنيث، والذَكر خلاف الأنثى، والجمع ذكور وذكار وذكارة وذكران وذكرة (Ibn Manzur, 1988, p.308-311) (Ibn Faris, 1979, p. 358) (Al- Fairouzabadi, 2005, p. 292) (Al- Zamakhshari, 1998,p. 314)).

أما اصطلاحا فمن العلماء من عرفه أنه "كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله- عز وجل- مِنْ تعلم علم وتعليمه وأمر بمعروف، ونهى عن منكر؛ فهو من ذكر الله سبحانه وتعالى" (Ibn Taymiyyah, 1995, p. 292). ومنهم من قال: "الذِكر ثناء على الله عز وجل، بجمل أوصافه وآلائه وأسمائه"(Ibn al- Qayyim, 1999, p. 89).

يلاحظ مما سبقأن التعريفات تصدر من منظور مشترك لأنها تلتقي حول معنى واحدٍ وهو ذكر الله -سبحانه وتعالى- بالقلب أو اللسان، وإن كانت هذه التعريفات منها ما اقتصر على أقوال اللسان كالتسبيح والتحميد، ومنهم من جعل القلب موضعا للذكر، وبرأيي فإن هذه التعريفات وإن كانت قاربت الصواب، وتداخلت فيه إلا أنها لم تكن إحاطتها الدلالية شاملة لمعاني الذِكر، وليس أدل على هذا الكلام من مجيء الذكر بمعانٍ عدة منها: "ذكر اللسان، والعبرة والعظة، والتذكر، والحديث، والطاعة، والحفظ، والشرف، والخير، وشرع الله، والعذاب، والوحي، والكتب المتقدمة، واللوح المحفوظ، والبيان، والصلاة، والنبي المرسل، والقرآن الكريم"(Khellah, 2014, p. 17).

إن من أهم المعاني التي جاء الذِكر حاملا لدلالتها معنى القرآن الكريم، وقد أشار العلماء إلى أن القرآن اسم عَلَم غير مُشتق من جذر لغوي وغير مهموز (أي قران)، وهو بذلك اسمٌ اختصَّ الله تعالى به الكتاب الذي نزل على النّبي- عليه الصّلاة والسّلام- كما في أسماء الكتب الأخرى التّوراة والإنجيل، وهذا القول مُنتقلٌ عن الشافعيّ وغيره. من العلماء من ذهب إلى القول: إنَّ القرآن اسمٌ مشتقٌّ من القرائن؛ لأنَّ الآيات يُصَدِّق بعضها بعضا، ويُشابه بعضه بعضاً كالقرينات، أي المُتشابهات، وهذا قول الفرّاء. قيل إنَّه لفظٌ مهموز (أي قرآن)، وهو مشتقٌّ من قَرَأ ومصدرٌ له، وهذا ما ذهب إليه اللحيانيّ وغيره. ذهب الزَجَّاج وغيره إلى القول بإنَّ القرآن وصفٌ مشتقٌّ من القَرْءِ أي الجمع، ومثال ذلك: قرأت الماء في الحوض؛ أي جمعته فيه، وسُمِّي القرآن بذلك لأنَّه جمع السّور بعضها إلى بعضٍ، أو لأنَّه جمع ثمرات وفوائد الكتب السَماويَّة التي نزلت قبله كما قال الرّاغب (Al- Razi, 1981, p. 3) (Al- Suyuti, 1974, p. 146-148).

أما في تعريفه الاصطلاحي؛ فقد أجمع العلماء على أن الذكر هو القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى المُعجِز، المُوحَى به إلى النّبي محمد- عليه الصّلاة والسّلام- بواسطة المَلك جبريل، المنقول بالتّواتر، المكتوب بين دفَّتَي المُصحف، المتعبَّد بتلاوته، المَبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة النّاس

(Abu Shahbah, 1987, p. 24) (Al- Bagha, 1998, p. 15-23) (Al- Zarkashi, 1957, p.273-274).

ولقد ورد الذِكر بمعنى القرآن الكريم في الآيات والسور القرآنية في واحد وثلاثين موضعاً، ولكن الذكر ارتبط بالتنزيل والحفظ في مواضع محددةٍ شكلت فيما بينها حلقة تفاعلية ترابطية مشتركة، وهو ما ستحاول الدراسة الكشف عنه.

المطلب الثاني: التنزيل لغة واصطلاحا.

ورد في المعاجم اللغوية أن (ن، ز، ل) هو الجذر اللغوي للمصدر إنزال، والإنزال وهو الانحطاط من علو، وأنزله بمعنى إنزال الله تعالى نعمة ونقمة على الخلق، وإعطاؤهم إياها وذلك إما بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن الكريم، أو إما بإنزال أسبابه والهداية إليه كإنزال الحديد واللباس، والفرق بين الإنزال والتنزيل كما يذكر الأصفهاني في وصف القرآن والملائكة، أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مُفرقا ومرة بعد أخرى في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾(الشعراء: 193) وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: 1) فقد خصَّ الإنزال دون التنزيل، فالقرآن نزل دفعة واحدة إلى السماء الدنيا ثم نزل نجما منجما، فخص لفظ الإنزال ليكون أعم، فالإنزال أعم من التنزيل، وأما التنزيل، فهو كالنزول به، فيقال تنزل الملك بكذا، ولا يقال تنزل الله بكذا قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (الشعراء: 193)(Al- Isfahani, 1992, p. 799).

والإنزال في رأي الكفوي: "هو نقل الشيء من أعلى إلى أسفل... ويستعمل في الدفعي لأن (أفعلته) يكون لإيقاع الفعل دفعة واحدة، والتنزيل يستعمل في التدريجي لأن (فعلته) يكون لإيقاع الفعل شيئاً فشيئاء وقوله تعالى: ﴿لولا نزل عليه القرآن جملةً واحدةً﴾(الفرقان: 32)، بمعنى أنزل كخبر أي أخبر فلا تدافع، قال ابن كمال تضعيف (نزلنا) بمنزلة همزة الفعل ولا دلاله في نزل مشددا على النزول منجما في أوقات مختلفة لأن مبناه على أن يكون التضعيف للكثير.. وقيل الإنزال بواسطة جبريل أما التنزيل بلا واسطة، والتنزيل النزول على مهل؛ لأنه مطاوع (نزل) وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق (نزل) بمعنى (أنزل) والنزول باعتبار أنه من فوق ويعدى بـ(على) وباعتبار أنه ينتهي إلى المرسل إليه يعدى بـ(إلى) قال الله تعالى في خطاب المسلمين: ﴿قولوا أمنا بالله وما أنزل إلينا﴾(البقرة: 136) وإلى ينتهي بها من كل جهة يأتي مبلغه إياهم منها، وقال مخاطبا النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿قل أمنا بالله وما أنزل علينا﴾ (البقرة: 136) لأن النبي إنما أتي له من جهة العلو خاصة، ونسبة التنزيل إلى النبي أولا وبالذات، وإلى الأمة ثانياً، أما قوله: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم﴾ (الأنبياء: 10) يفيد الحقيقة ويؤيده عموميات الخطاب ولا ينافيه نزول جبريل- عليه السلام- واختصاص الوحي به، وهو الفرد الكامل العمدة ممن أنزل عليه القرآن الواسطة في التبليغ" (Al- Kafawi, ND, p. 136-137).

إذن نستنتج مما سبق أن التنزيل اسم من أسماء القرآن الكريم أطلقت عليه هذه التسمية نتيجة لفعل التنزيل التدريجي للقرآن الكريم على النبي الأمين محمد بن عبد الله عليه أفضل صلاة وأتم تسليم قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: 192) وقد كان نزوله في غار حراء إيذانا من الله تعالى إلى النبي عليه الصّلاة والسّلام ببداية التّكليف الإلهي لنشر شريعته السمحاء، ولزوم الدّعوة إليها، واستمر نزوله على النبي- صلى الله عليه وسلم- كما أجمع العلماء لثلاث وعشرين سنة، فنزل مُنجَّما أي مفرقا كما ذكرنا سابقا، وتكمن الحكمة من نزوله مُفرَّقا في تثبيت قلب النّبي- عليه الصّلاة والسّلام- وتأييده المُستمرّ بالقرآن الكريم، وتمكينه من حفظه وتلقينه للصّحابة، كما أنَّ من أسباب نزوله مُفرَّقا أنَّه كان ينزل لبيان أحكام بعض الأحداث والمُناسبات التي كانت تقع في عهد النّبي- عليه الصّلاة والسّلام- أو الإجابة عن بعض المسائل، وقد قُسِّمَ القرآن الكريم حسب زمن نزوله إلى مكيٍّ ومدنيّ؛ فما نزل قبل الهجرة يُسمّى مكيّا، وما نزل بعدها يُسمَّى (Al- Suyuti, 1974, p.22-50) (Abu Zahrah, 1970, p. 21-22) (Al- Qattan, 2000,p. 13-14). وقد تعهد الله بحفظ التنزيل أو الذكر حتى قيام الساعة.

المطلب الثالث: الحفظ لغة واصطلاحاً.

الحفظ لغة مأخوذ من الجذر اللُّغوي (ح، ف، ظ) وجاء في لسان العرب "الحفيظ وهي من صفات الله عز وجل، لا يعزب عن حفظه الأشياء كلها مثقال ذرة في السماوات والأرض، وقد حفظ على خلقه وعباده ما يعملون من خير أو شر، وقد حفظ السماوات والأرض بقدرته ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم. والحفظ نقيض النسيان وهو التعاهد وقلة الغفلة حفظ الشيء حفظا، ورجل حافظ من قوم حفاظ وحفيظ عن اللحياني، وقد عدوه فقالوا: هو حفيظ علمك وعلم غيرك، وإنه لحافظ العين أي يغلبه النوم: عن اللحياني وهو من ذلك؛ لأن العين تحفظ صاحبها إذا لم يغلبها النوم، ورجل حافظ، وقوم حفاظ، وهم الذين رزقوا حفظ ما سمعوا وقلما ينسون شيئا يعونه. غيره: والحافظ والحفيظ الموكل بالشيء يحفظه" (Ibn (Manzur, 1988, p. 441-442

أما اصطلاحا فالحفظ "يقال لهيئة النفس التي بها يثبتُ ما يؤدي إليه الفهم، وتارة يقال لضبط الشيء في النفس ويضاده النسيان، وتارة لاستعمال تلك القوة فيقال حفظتُ كذا ثم يستعمل في كل تفقُّدٍ وتعهُّدٍ ورعاية قال تعالى: ﴿وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾ (يوسف: 12)" (Al-Isfahani, 1992, p. 244). وارتبط الحفظ بلفظ الذكر الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾ (الحجر: 9). والمعنى أن الله- سبحانه وتعالى- أنزل الذكر الحكيم تدريجيا ثم تعهد بحفظه.

المبحث الأول: الذكر ما بين العلاقات التفاعلية التشاركية والدلالات البيانية في آيات التنزيل والحفظ.

ارتبط تنزيل الذكر الكريم وحفظه بمجموعة من المتعلقات والارتباطات التي أظهرت طبيعة العلاقة التشاركية والدلالية بين فعلي التنزيل والحفظ، ولعل من أبرزها:

المطلب الأول: الموقف من تنزيل الذكر وحفظه.

جاءت الآيات القرآنية الكريمة في سورة الحجر مختصة ببيان موقف المشركين من تنزيل القرآن الكريم وحفظه، ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾(الحجر: 6) يخبر الله سبحانه وتعالى المشركين الذين اتهموا محمدا صلى الله عليه وسلم بالجنون مبينا موقفهم من تنزيل القرآن الكريم وهو الأمر الذي لم يصدقه أهل الشرك ولم يؤمنوا به وذلك لمعرفتهم وإدراكهم بأن تنزيل القرآن الكريم بهذه الكيفية خارج عن نواميس العقل لذلك وصفوه صلى الله عليه وسلم بالجنون "وإنما وصفوه بالجنون لتوهمهم بأن ادعاء نزول الوحي عليه لا يصدر من عاقل؛ لأن ذلك مخالف للواقع توهماً منهم بأن ما لا تقبله عقولهم التي عليها غشاوة ليس من شأنه أن يقبله العقلاء؛ فالدّاعي به غير عاقل" (Ibn Ashur, 1984, p. 17).

وجاء قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾(الحجر: 9) استئناف ابتدائي لما ورد في الآيات الي سبقت هذه الآية والقصد منها التأكيد على قدرة الله- سبحانه وتعالى- على تنزيل الذكر الكريم، ثم التعهد الرباني بحفظه، فمن خلال هذه الآيات الكريمة ظهرت العلاقة بين فعلي التنزيل والحفظ وهي علاقة إعجازية قائمة على تشارك الفعلين صفة واحدة فتنزيل القرآن الكريم وحفظه أمر معجز لا يدركه العقل البشري وذلك افحام للمشركين والمشككين بالذكر الحكيم يقول ابن عاشور: "وكان هذا الجواب من نوع القول بالموجب بتقرير إنزال الذكر على الرسول- صلى الله عليه وسلم- مجاراة لظاهر كلامهم، والمقصود الرد عليهم في استهزائهم، وقد شمل حفظه الحفظ من التلاشي، والحفظ من الزيادة والنقصان فيه، بأن يسّر تواتره وأسباب ذلك، وسلمه من التبديل والتغيير حتى حفظته الأمة عن ظهور قلوبها من حياة النبي- صلى الله عليه وسلم- وصار حفاظه بالغين عدد التواتر في كل مصر" (Ibn Ashur, 1984, p: 21-22).

والملاحظ أن الله- سبحانه وتعالى- في آيات القرآن الكريم جميعها لم يتعهد بحفظ أي كتاب سماوي أنزله على أنبيائه إلا القرآن الكريم الذي تولى حفظه- سبحانه وتعالى- وهذا دليل على مكانة الذكر الكريم عند الله عز وجل، وقد أشار الشعراوي إلى ذلك بقوله: "إذا نظرنا إلى المعجزات السابقة وجدنا هذه المعجزات فعل من أفعال الله، وفعل الله من الممكن أن ينتهي بعد أن يفعله الله، البحر انشق لموسى ثم عاد لطبيعته، النار لم تحرق إبراهيم، ولكنها عادت لخاصيتها بعد ذلك، ولكن معجزة النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- صفة من صفات الله، وهي كلامه والفعل باقٍ ببقاء الفاعل له، والصفة باقية ببقاء الفاعل نفسه...ومن هنا فقد كانت الكتب السابقة للقرآن داخلة في نطاق التكليف بمعنى أن الله سبحانه وتعالى كان يكلف عباده بالمحافظة على الكتاب، أما القرآن فقد قال سبحانه وتعالى عنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾(الحجر: 9). لماذا؟ أولا: لأن القرآن معجزة، وكونه معجزة لا بد أن يبقى بهذا النص، وإلا ضاع الإعجاز. وثانيا: لأن الله اختبر عباده في الحفاظ على الكتب السابقة فنسوا حظاً مما ذكروا به، والذي لم ينسوه كتموا بعضه، والذي لم يكتموه يلوون ألسنتهم به ويحرفونه عن موضعه، وهكذا نرى أنه كان هناك من نوع المسخ والنسيان والتحريف ثم جاءوا بأشياء من عندهم، وقالوا إنها من عند الله؛ ليشتروا بها ثمناً قليلاً" (Al- Sha'rawi, 1978, p. 9-11).

إن العلاقة التشاركية بين التنزيل والحفظ في هذه الآيات حملت دلالة الخلود من جهة، ثم حملت دلالة تميز القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية، فالقرآن دائم الحفظ بفعل قدرة الله على هذه الاستمرارية، بينما باقي الكتب السماوية هي كتب مؤقتة، يقول دراز: "والسر في هذه التفرقة أن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت، لا التأبيد، وأن هذا القرآن جيء به مصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليها، فكان جامعاً لما فيها من الحقائق الثابتة، زائداً عليها بما شاء الله زيادته، وكان سادا مسدها، ولم يكن شيء منها ليسد مسده، فقضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة" (Draz, 2005, p. 43). وبهذا أعجز الله- سبحانه وتعالى- جميع خلقه لا سيما المشركين منهم بقدرته على فعلي تنزيل الذكر الحكيم على نبيه الأمين ثم حفظه من التغيير والتبديل والتزوير بالكيفية التي نزل بها على مرّ السنين، وبناء على ذلك فالذكر الحكيم هيمن على سائر الكتب السماوية، وهذه الهيمنة جاءت: "لأنه الكتاب الذي لا يصير منسوخاً البتة، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف على ما قاله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾ (الحجر: 9) وإذا كان كذلك كانت شهادة القرآن على أن التوراة والإنجيل والزبور حق صدق باقية أبداً، فكانت حقيقة هذه الكتب معلومة أبداً" (Al- Razi, 1981 AH, p. 371).

كما يلاحظ أن الله سبحانه وتعالى أكد في مواضع مختلفة على أن إنزال الذكر أو القرآن حق يقين، يجب الإيمان به وتصديقه فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (105) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾(الإسراء: 105-106). وقد وقف أهل التفسير على هذه الآية لما فيها من الشيء الكثير مبينين الموقف الإنساني من قضية إنزال القرآن الكريم،فقال أبو السعود: "﴿وبالحق أَنْزَلْنَاهُ وبالحق نَزَلَ﴾ (الإسراء: 105) أي وما أنزلنا القرآنَ إلا ملتبسا بالحق المقتضي لإنزاله وما نزل إلا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه أو

ما أنزلناه من السماء إلا محفوظا وما نزل على الرسول إلا محفوظاً من تخليط الشياطين، ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له أول الأمر وآخرَه" (Ebussuud, (ND), p. 199). ومن بلاغة القول في هذه الآية التوازن اللفظي الحاصل بين نزول الحق، وإنزاله كما يذكر ابن عاشور:"وقد ذُكِر فِعل النُّزُولِ مَرتين، وَذُكِرَ له في كُلِّ مَرَّةٍ مُتَعَلِّق مُتَمَاثِل اللَّفْظ لكنه مُختلف المعنى، فَعلق إِنْزَالَ الله إِيَّاهُ بِأَنَّهُ بِالْحَقِّ فَكَانَ معنى الحق الثابت الذي لا ريب فِيهِ ولا كذب، فَهُوَ كقوله تعالى: ﴿ذلِكَ الْكِتابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (البقرة: 2) وَهُوَ رد لتكذيب المشركين أَنْ يَكون القرآن وَحْيًا مِنْ عند الله، وَعَلَّقَ نزول القرآن أَيْ بُلُوغَهُ لِلنَّاسِ بِأَنَّهُ بِالْحَقِّ فكان معنى الْحَقِّ الثَّانِي مُقَابِلَ الْبَاطِلِ، أَيْ مُشْتَمِلًا على الْحَقِّ الذي بِهِ قِوَامُ صلاح الناس وفوزهم في الدنيا والأخرة، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ﴾(الإسراء: 81)" (Ibn Ashur, 1984, p. 229).

ويرى الرازي أن فعل إنزال الحق (الله) للحق (الذكر) في هذه الآية فوائد عدة فقال:"وبالحق أنزلناه وبالحق نزل" (الإسراء: 105). والمعنى أنه ما أردنا بإنزاله إلا تقرير الحق والصدق، وكما أردنا هذا المعنى فكذلك وقع هذا المعنى وحصل، وفي هذه الآية فوائد، الفائدة الأولى: أن الحق هو الثابت الذي لا يزول كما أن الباطل هو الزائل الذاهب، وهذا الكتاب الكريم مشتمل على أشياء لا تزول؛ وذلك لأنه مشتمل على دلائل التوحيد وصفات الجلال والإكرام وعلى تعظيم الملائكة، وتقرير نبوة الأنبياء، وإثبات الحشر والنشر والقيامة، وكل ذلك مما لا يقبل الزوال، ومشتمل أيضاً على شريعة باقية لا يتطرق إليها النسخ والنقض والتحريف، وأيضاً فهذا الكتاب كتاب تكفل الله بحفظه عن تحريف الزائغين، وتبديل الجاهلين كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾ (الحجر: 9). فكان هذا الكتاب حقاً من كل الوجوه، الفائدة الثانية: أن قوله "وبالحق أنزلناه" (الإسراء: 105). يفيد الحصر، ومعناه أنه ما نزل لمقصود آخر سوى إظهار الحق، وقالت المعتزلة: وهذا يدل على أنه ما قصد بإنزاله إضلال أحد من الخلق ولا إغواؤه ولا منعه عن دين الله. الفائدة الثالثة: قوله: "وبالحق أنزلناه وبالحق نزل" (الإسراء: 105) يدل على أن الإنزال غير النزول، فوجب أن يكون الْخَلْقُ غَيْرَ الْمَخْلُوقِ وَأَنْ يَكُونَ التَّكْوِينُ غَيْرَ الْمُكَوَّنِ على ما ذهب إليه القوم" (Al- Razi, 1981, p. 416-417).

إذن فالقرآن الكريم لم يكن مجرد كتاب أنزله الله- سبحانه وتعالى- على نبيه الكريم محمد- صلى الله عليه وسلم- ثم تعهد بحفظه إنما هو تشريع رباني مليء بالأحكام والتشريعات، فيه إحقاق للحق، وإذعان لعبودية الله وحده، فالعلاقة ما بين التنزيل والحفظ علاقة تشمل ما في ثنايا هذا الكتاب الكريم من حياة قرآنية ناظمة للحياة الإنسانية بكل ما فيها، ففي إنزال الذكر وحفظه حفظ للإنسانية جميعها.

المطلب الثاني: ارتباط تنزيل الذكر بالهداية.

جاء تنزيل القرآن الكريم من الله- سبحانه وتعالى- للناس كافة لبيان حكم ربانية كثيرة، ومنها؛ حكمة الهداية من خلال التفكر والتدبر أو التأمل فجميع هذه المصطلحات ترتبط فيما بينها برابط مشترك "فالتدبر تصرُّف القلب بالنظر في العواقب، والتفكر تصرُّف القلب بالنظر في الدلائل" (Al-Askari, 1412 AH, p. 121). والتأمل هو: "النظر المؤمل به معرفة ما يطلب ولا يكون إلا في طول مدة، فكل تأمل نظر، وليس كل نظر تأملاً" (Al-Askari, 1412 AH, p. 543). كما أن صيغة التفعل في هذه الأفعال تدل على التكثير، ومن دلالاتها أيضا التكلف والتدرج في الفهم والمعرفة والإدراك ومن هنا جاء التفكر مرافقا للذكر في القرآن الكريم للتعبير عن حكمة تدبر الآيات القرآنية والتفكر فيها ثم التأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يَدْبُر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة، ولقد ارتبط الذكر بحكمة التدبر والتفكر في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون﴾ (النحل: 44). ولعل العلاقة بين لفظ الذكر وبين التفكر في هذه الآية مستمدة من المقصدية والغاية من إنزال القرآن الكريم يقول أبو السعود: "أنزلنا إليك الذكر أي القرآن، وإنما سمي به؛ لأنه تذكير وتنبيه للغافلين؛ ليتبين للناس كافة، ويدخل فيهم أهل مكة دخولاً أولياً. ولعل قوله عز وجل: ﴿ولعلهم يتفكرون﴾(النحل: 44) إشارة إلى ذلك؛ أي إرادة أن يتأملوا فيتنبهوا للحقائق، وما فيها من العبر ويحترزوا عما يؤدي إلى مثل ما أصاب الأولين من العذاب" (Ebussuud, (ND), p. 116-117).

وفي المقابل أكدت بعض الآيات الكريمة التي قامت على تبيان العلاقة التشاركية من إنزال الذكر، وذلك من خلال إظهار العلاقة العكسية للذين يبتعدون عن هدي الذكر الحكيم، فيعيشون في ضلالة وهلاك، وهذا الأمر ورد في سورة الفرقان في موضعين مختلفين الأول قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ (الفرقان: 18). وقد حصر الماوردي أوجه القول في هذه الآية فقال:"﴿وَلكن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ﴾(الفرقان: 18) فيه ثلاثة أوجه: أحدها: متعهم بالسلامة من العذاب، الثاني: بطول العمر، الثالث: بالأموال والأولاد ﴿حَتَّى نَسُوأ الذِكْر﴾ (الفرقان: 18) فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: حتى تركوا القرآن الثاني: حتى غفلوا عن الطاعة. الثالث: حتى نسوا الإحسان إليهم والإنعام عليهم.﴿وَكَانَوا قَوْماً بُوراً﴾ (الفرقان: 18) فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: يعني هلكى، مأخوذ من البوار وهو الهلاك. الثاني: هم الذين لا خير فيهم وهو مأخوذ من بوار الأرض وهو تعطلها من الزرع فلا يكون فيها خير، الثالث: أن البوار الفساد من قولهم بارت إذا كسدت كساد الفاسد"(Al- Mawardi, 2005, p. 136-137). فالإنسان الذي يبتعد عن الذكر الحكيم يهلك في الحياة الدنيا وفي الآخرة، لذلك فمن تمسك بالذكر، وامتثل لما فيه لن يضل أبدا.

وجاء الموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي وَكانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولاً﴾(الفرقان: 28-29) موافقا للموضع الأول فيما ذهب إليه أهل التفسير، قال ابن عاشور إن معنى هذه الآية تمني الإنسان أنه لم يتخذ فلان

خليلاً؛ لأنه صدر عن خلته أعظم خسران لخليله؛ لأنه أضله عن الحق بعد أن كاد يتمكن منه، ومعنى أضلني عن الذكر سول لي الإنصراف عن الحق، والضلالة: إضاعة الطريق وخطؤه بحيث يسلك طريقا غير المقصود فيقع في غير المكان الذي أراده (Ibn Ashur, 1984, p: 10). وبذلك تكون العلاقة بين تنزيل الذكر وحفظه هي هداية الإنسانية إلى طريق الخير والفلاح.

المطلب الثالث: ارتباط تنزيل الذكر بالخير والبركة.

ارتبط إنزال الذكر للناس كافة بإحلال البركة عليهم، فالله- سبحانه وتعالى- يتعجب ممن ينكرون الذكر، فقال تعالى:﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ (الأنبياء: 50) فالذكر كتاب الله المبارك الذي اقتضت حكمة إنزاله إحلال بركته على الأمم والشعوب فمن خلاله تسمو الحياة البشرية وترتقي وتتطور في شؤونها الخاصة والعامة، لذلك وصفه الله بالمبارك لما فيه من خير كثير أينما نزل وحل، قال الزمخشري: "وَهذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ هو القرآن، وبركته: كثرة منافعه، وغزارة خيره" (Al- Zamakhshari, 2009, p. 121). لذلك لا يصح أن ينكره المنكرون؛ فالذكر كتاب الله الذي يهدي ببركته الأمم إلى طريق الحق، وهي حكمة ربانية باقية ومستمرة حتى قيام الساعة، وفي هذا قال ابن عاشور" ﴿وَهذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْناهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾(الأنبياء: 50) فاسم الإشارة يشير إلى القرآن لحضوره في الأذهان وفي التلاوة بمنزلة حضور ذاته، ووصفُهُ القرآن بالذكر؛ لأن لفظ الذكر جامع لجميع الأوصاف، ووصف القرآن بالمبارك يعم نواحي الخير كلها؛ لأن البركة زيادة في الخير، فالقرآن كله خير من جهة بلاغة ألفاظه، وحُسنها وسرعة حفظه وسهولة تلاوته، وهو أيضا خير لما اشتمل عليه من أفنان الكلام والحكمة والشريعة واللطائف البلاغية، وهو في ذلك كله آية على صدق الذي جاء به لأن البشر عجزوا عن الإتيان بمثله وتحداهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فما استطاعوا، وبذلك اهتدت به أمم كثيرة في جميع الأزمان، وانتفع به من آمنوا به، فكان وصفه بأنه مبارك وافياً على وصف كتاب -موسى عليه السلام- بأنه فرقان وضياء، وزاده تشريفا بإسناد إنزاله إلى ضمير الجلالة، وجعل الوحي إلى الرسول إنزالاً لما يقتضيه الإنزال من رفعة القدر إذ اعتُبر مستقراً في العالم العلوي حَتَّى أُنْزِلَ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ" (Ibn Ashur, 1984, p. 10). فكان نزوله خيرا وبركة لمختلف الأمم التي اتبعته.

المطلب الرابع: ارتباط الذكر بالعالمية.

يقصد بالعالمية الشمولية والعموم، فالقرآن الكريم خطاب- الله سبحانه وتعالى- للناس جميعهم، والناظر في آيات القرآن الكريم يجد أن لفظة العالمية ذكرت قرابة ما يزيد عن ثلاث مئة وخمسين مرة في القرآن الكريم (Jijak, 2001, p. 125). ولعل ذلك يعد مؤشرا قويا على ضرورة التنبه في زمننا المعاصر إلى ضرورة تكثيف الدراسات والأبحاث القرآنية في مضمار عالمية القرآن الكريم، لا سيما في جوانبها الاستدلالية من النواحي العقلية أو النواحي النقلية، فالعقل الإنساني يدرك أن التوجيهات الربانة التي نزلت مع آيات الذكر الحكيم قصد بها الناس جميعهم "فعالمية القرآن كانت معروفة منذ الفترة المكيّة عبر آيات كثيرة، فكانت مبادئه وتوجيهاته موجهة للجميع" (Al- Imam, 1997, p. 54). فضلا عن عمومية تعليماته وأحكامه، وإذا ما نظرنا إلى عالمية القرآن الكريم في الآيات الكريمة نجد أن بعضاً منها تعلق بلفظ الذكر، وربما تكون هذه دلالة على وجوب تذكر الناس أن الذكر الحكيم كتاب عالمي، ودستور عام للجميع، وهذا يتجلى في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (ص: 87). قال السعدي في تفسير هذه الآيات وفي تكرار لفظ الذكر في سورة (ص) "{إِنْ هُوَ} (ص: 87) أي: هذا الوحي والقرآن{إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} (ص: 87) يتذكرون به كل ما ينفعهم، من مصالح دينهم ودنياهم، فيكون شرفا ورفعة للعاملين به، وإقامة حجة على المعاندين، فهذه السورة العظيمة، مشتملة على الذكر الحكيم، والنبأ العظيم، وإقامة الحجج والبراهين، على من كذب بالقرآن وعارضه، وكذب من جاء به، والإخبار عن عباد الله المخلصين، وجزاء المتقين والطاغين. فلهذا أقسم في أولها بأنه ذو الذكر، ووصفه في آخرها بأنه ذكر للعالمين، وأكثر التذكير بها"(Al- Sa'di, 2000, p: 717).

والذكر لم يأت لأمة معينة دون أخرى، فهو متفرد بعموميته عن سائر الكتب السماوية المنزلة، ولعل ما يؤكد ذلك تكرار الدلالة المعنوية السابقة، فيقوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾(يوسف: 104). فالأنبياء جميعهم لم يسألوا الناس أجر هدايتهم أو تبليغهم الذكر أو دعوتهم لعبادة الله- سبحانه وتعالى- ولكن الله- سبحانه وتعالى- سوف يسأل الناس جميعهم عن الذكر الذي أنزله؛ ليكون هذا الذكر تذكرة دائمة للناس كافة في أن مردهم إلى الله- سبحانه وتعالى-فمن اتبعه فسوف يجزى أجراً كريما.

المبحث الثاني: أثر تنزيل الذكر وحفظه في المجتمعات الإنسانية.

ترك الذكر وحفظه أثرا واضحا في المجتمع الإنساني المسلم، إذ وقع هذا التأثير في جوانب عدة: من أهمها

المطلب الأول: الإسهام التدريجي في تأسيس المجتمع الإسلامي.

أسهمت عملية إنزال الذكر الكريم في بداية الأمر في بناء تدريجي للمجتمع الإسلامي، فالناظر في معجزة إنزال الذكر يدرك عظمة الله- سبحانه وتعالى-

وحكمته في التأسيس لنشوء مجتمع إسلامي جديد لم يعهده العرب قبل ذلك، فقد كان لحكمة نزوله تدريجيا وليس دفعة واحدة أثره في النفس، حيث إن في نزوله التدريجي تهيئة تدريجية للنفس البشرية على تقبل آياته وأحكامه، فالله- سبحانه وتعالى- أراد من إنزال القرآن مفرقا تثبيتاً نفسياً لقلب النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾(الفرقان: 32).ففي نزول القرآن مفرقاً على النبي- صلى الله عليه- وسلم تأكيد على استمراية نزول جبريل عليه السلام الأمر الذي يعني تجدد العهد والثقة بالله- سبحانه وتعالى- وتشجيع المسلمين على الإيمان بالله ومواصلة العمل لتأسيس مجتمع إسلامي يقوم على فهم واضح لتعاليم القرآن الكريم وأحكامه، فالحكمة الربانية اقتضت أن يكون نزول القرآن مفرقا مترافقا مع بناء المجتمع الإسلامي وتطوره شيئا فشيئا، فالله- سبحانه وتعالى- أراد أن يطمأن المسلمين، ويزيد من ثقتهم بالله، وبأنفسهم على نحو تدريجي من خلال القرآن الكريم،لا سيما وأن القرآن عندما نزل كان الإسلام ما زال حديث عهد في تلك الفترة، فحكمة الله اقتضت أن يتم التأسيس للمجتمع الإسلامي من خلال عملية الدعم النفسي، وذلك من خلال أولا: اعطاء الثقة المستمرة بإنزال القرآن مفرقا حتى يقوى الإسلام ويشتد، فإذا نزل القرآن دفعة واحدة، وانقطع جبريل- عليه السلام- عن النزول بالآيات الكريمة، قد يخلق لك شكا في النفوس، ويشكل ذلك مشقة وعبئاً على الناس، فيقعون في حيرة من أمرهم، وبذلك لا يكون هنالك مجتمع إسلامي ينهل من تعاليم القرآن الكريم ما يؤسس به لحياة إنسانية كريمة، أما ثانيا: علم الله- سبحانه وتعالى- بتأثير إنزال القرآن مفرقا على النفوس البشرية، فالدعوة إلى الإسلام لم تكن؛ لتنجح إذا نزل القرآن على العرب دفعة واحدة، فالله يعلم أن النفوس البشرية تهتدي بالتدرج، لذلك نزل القرآن رويدا رويدا على قلوب المسلمين، مما أدى إلى إحداث التأثير النفسي والفكري والتغيير المجتمعي من الشرك إلى التوحيد، فانتقل العرب من الجاهلية والشرك والوثنية إلى تأسيس مجتمع إسلامي ينهض على تعاليم القرآن الكريم وأحكامه، قال الخطابي في تأثير القرآن الكريم على النفوس:"قلت في إعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم؛ وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة (فزعة) قد عراها الوجيب (الاضطراب) والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدوٍّ لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- من رجال العرب، وفُتَّاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلون في دينه، وصارت عداوتهم موالات، وكفرهم إيمانا" (Al- Khattabi, 1976, p. 70-71). فالقرآن الكريم الذي نزل مفرقا، تدرج في طرق الأسماع والقلوب، مما أسهم في التأسيس لمجتمع إسلامي، "فالقرآن الكريم وحده هو الذي نفخ الإيمان في الكبار والصغار نفخا، وبثه روحا عاما، وأشعر النفوس بما جاء فيه إشعارا، ودفعها إلى التخلي عن موروثاتها ومقدساتها جملة، وحملها على التحلي بهديه الكريم علما وعملا" (Al-Zurqani, ND, p. 406).

المطلب الثاني: استمرارية بناء المجتمع الإسلامي وحفظه.

أما بالنسبة لتأثير دور الذكر في عملية استمرار بناء المجتمع الإسلامي وحفظه؛ فإن الناظر في هذه العملية يدرك مدى العلاقة التبادلية بين أمر حفظ الله- سبحانه وتعالى- للقرآن الكريم وحفظ استمرارية بناء المجتمع الإسلامي وتطوره فالإنسان المتدبر لهذا الجانب يجدها معجزة بحد ذاتها، فطيلة القرون الماضية حتى يومنا هذا، وحتى قيام الساعة حفظ الله كتابه العزيز من التحريف والتبديل والتزوير، واستتبع ذلك حفظ الله الإسلام واستمرايته وديمومته، مما أدى إلى استمرارية المجتمع الإسلامي وتطوره، على الرغم من أن النفوس الإنسانية بعد وفاة النبي- صلى الله عليه سلم- انقسمت بين النفوس المؤمنة الواثقة بقدرة الله على حفظ الدين الإسلامي والشريعة السمحة من خلال حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وما بين نفوس الكفار المشككة بهذا الإعجاز، إلا أن إرادة الله- سبحانه وتعالى- شاءت أن يستمر حفظ القرآن الكريم، وحفظ الدين الإسلامي، وتطور المجتمعات الإسلامية وازدهارها.

لقد تركت عملية الحفظ تأثيرها في النفس الإنسانية، فأيقنت عظمة الله وقدرته، وأمنت باستمرارية الإسلام وتطور مجتمعاته ونهضتها وازدهارها، فحفظ القرآن الكريم لم يكن محصورا، فقد في عملية حمايته من التحريف والتبديل والتزوير، إنما شملت عملية حفظ القرآن حفظ الإسلام والمسلمين؛ فالذكر الحكيم ليس مجرد كتاب مقدس؛ إنما هو دستور أمة، ونظامها، وقانونها، وأحكامها، الذي يهدي الافراد والجماعات، فالذكر منهج حياة، وطريق هداية ونور، وأثره على الإنسان والمجتمعات عبر السنين واضح، فهو كتاب معجز جامع أفاد منه المسلمون في جميع شؤون حياتهم، فقد جمع القرآن بين دفتيه كل صنوف الحكم والعلوم، وجميع ضروب المُثُل والأخلاق العليا والأدب، وأحكام العبادات والمعاملات، فالقرآن هدى الأمة وطورها، قال تعالى:﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: 9) فانعكس ذلك على ثقافاتها وحضاراتها، فلم تكن هذه الهداية محصورة في العبادات والطاعات إنما توسعت لتطال أفق التفكير والتأمل حتى غدا الإنسان المهتدي لذكر الله إنسانا مختلفا متصفا بالتطلع والانفتاح، فلقد دهش الباحثون والمؤرخون من التغير النوعي الذي أصاب الإنسان العربي بعد نزول الذكر الكريم، فنقله من غياهب الجهل والظلمات إلى عوالم النور والحضارات "إذ تحول الإنسان العربي بسرعة فائقة من إنسان قبلي عنصري أناني، ضيق الحدود النفسية إلى إنسان عربي العرق والبيان عالمي الفكر والجنان، إنساني النزعة، يحب الخير كل الخير للناس كل الناس" (Attar, 1980, p. 52).

الخاتمة:

سعت هذه الدراسة المعنونة بـ"الذكر ما بين التنزيل والحفظ" إلى الكشف عن العلاقات التفاعلية التشاركية التي تولدت عن هذه المعادلة الربانية، وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج هي:

1. قامت العلاقة بين (الذكر) و(التنزيل) و(الحفظ) على توازن دلالي في المفاهيم والمصطلحات الدالة على اشتراك هذه المصطلحات بعلاقات منسجمة، والغاية التي نزل الذكر الحكيم بسببها.
2. أظهرت آيات التنزيل والحفظ جملة من العلاقات التفاعلية الدلالية فيما بينها، منها: ما ارتبط بالموقف من التنزيل والحفظ، ومنها ما ارتبط بعلاقة الهداية، ومنها ما ارتبط بالخير والبركة والحكمة والعالمية.
3. نتج عن تنزيل الذكر وحفظة جملة من التأثيرات التي تعلقت بالأفراد والمجتمع الإسلامي، وقد تمثلت هذه التأثيرات في الإسهام التدريجي في التأسيس للمجتمع الإسلامي، استمرارية هذا المجتمع القترن بحفظ الله، شيوع الخير والبركة المختلفة في المجتمع الإسلامي.

التوصيات:

- توصي الباحثة بضرورة العمل على إعداد دراسات متجددة في إظهار خصائص الذكر الحكيم، وسماته لا سيما فيما يخص عالمية الدعوة التي يتضمنها، وما فيه من الخير الوفير.
- إقامة منتديات الحوار الشبابي الإسلامي في سبيل تنويرهم وإرشادهم إلى فوائد الذكر الكريم في حياتهم وأعمالهم وعباداتهم.
- إعداد حلقات وبرامج متلفزة حول العلاقات الناجمة عن تنزيل الذكر وحفظه.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن القيم، م (1999). *الوابل الصيب من الكلم الطيب*. (ط3). القاهرة: دار الحديث.

ابن تيمية، أ. (1995). *مجموع الفتاوى*. (ط3). المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن عاشور، م. (1984). *التحرير والتنوير*. (ط1). تونس: الدار التونسية.

ابن فارس، أ. (1979). *معجم مقاييس اللغة*. (ط1). القاهرة: دار الفكر.

ابن منظور، م. (1988). *لسان العرب*. (ط1). بيروت: دار الجيل.

أبو السعود، م. (د.ت). *إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم*. (ط1). القاهرة: دار إحياء التراث، دار المصحف.

أبو زهرة، م. (1970)، *المعجزة الكبرى القرآن*. (ط1). القاهرة: دار الفكر العربي.

أبو شهبة، م. (1987). *المدخل لدراسة القرآن الكريم*. (ط3). الرياض: دار اللواء.

الأصفهاني، ا. (1992). *المفردات في غريب القرآن*. (ط1). دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية.

الإمام، أ. (1997). هيمنة القرآن وعالميته وخلوده. *مجلة نهج الإسلام*، *18* (67، 68)، ص54.

البغا، م. ومستو، م. (1998). *الواضح في علوم القرآن*. (ط2). دمشق: دار الكلم.

جيجك، م. (2001). *دلالة أسماء سور القرآن الكريم من منظور حضاري*. (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.

الخطابي، أ. (1976). إعجاز القرآن. (ط1). مصر: دار المعارف.

خلة، أ. (2014). *الذكر والذاكرون في القرآن الكريم، دراسة موضوعية*، [رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية في غزة]. غزة.

دراز، م. (2005). *النبأ العظيم*. (ط1). دمشق: دار القلم.

الرازي، ف. (1981). *التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)*. (ط1). بيروت: دار الفكر.

الزرقاني، م. (د.ت). *مناهل العرفان في علوم القرآن*. (ط3). القاهرة: عيسى البابي الحلبي.

الزركشي، ب. (1957). *البرهان في علوم القرآن*. (ط1). القاهرة: دار إحياء التراث.

الزمخشري، أ. (1998). *أساس البلاغة*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

الزمخشري، أ. (2009). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. (ط3). بيروت: دار الكتاب العربي.

السعدي، ع. (2000). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. (ط1) بيروت: مؤسسة الرسالة.
السيوطي، ج (1974). *الإتقان في علوم القرآن*. (ط1). الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
الشعراوي، م. (1978). معجزة القرآن. (ط1). القاهرة: المختار الإسلامي.
العسكري، أ. (1412هـ). *الفروق اللغوية*. (ط1) الرياض: مؤسسة النشر الإسلامي.
عطار، أ. (1980). *أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة*. (ط1). مكة المكرمة: مطبعة معروف.
الفيروز أبادي، م. (2005). *القاموس المحيط*. (ط8). بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع.
القطان، م. (2000). *مباحث في علوم القرآن*. (ط3). الرياض: مكتبة المعارف.
الكفوي، أ (د.ت) *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*. (ط2). بيروت: مؤسسة الرسالة.
الماوردي، أ. (2005). *النكت والعيون*. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

References

Holy Qur'an

Abu Shahbah, M. (1987). *An –Introduction to study the Holy Quran.* (3rd ed). Riyadh: Dar al-Liwa'.

Abu Zahrah, M. (1970). *The great Mircle: The Qur'an*. (1st ed). Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi.

Al- Askari, A. (1991). *Linguistic differences*. (1st ed). Riyadh: Mu'assast al-Nashr al-Islami.

Al- Bagha, M., and Misto, M. (1998). *Al-wadih fi Ulum al-Qur'an*. (2nd ed). Damascus: Dar al-Kalim.

Al- Fairouzabadi, M. (2005). *Al-Qamus al-Mohit.* (8th ed). Beirut: Al-Risala Foundation for Publishing and Distribution.

Al- Imam, A (1997). The dminance, universality and immortality of the Qur'an. *Nahj al-Islam journa,* 18(67,68), P. 54.

Al- Isfahani, A (1992). *Al-Mufradat fi Gharib al-Quran*. (1st ed). Damascus, Beirut: Dar al-Qalam, Dar al-Shamiyyah.

Al- Kafawi, A. (ND). *Al-Kulliyat, a dictionary of differences in terminology and language*. (2nd ed). Beirut: al-Risala Foundation.

Al- Khattabi, A. (1976). *Inimitability of the Qur'an.* (1st ed). Egypt: Dar al-Ma'aref.

Al- Mawardi, M. (2005). *Al-Nukatwa-al-'uyun*. (1st ed). Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyah.

Al- Qattan, M. (2000). *Topics in the Sciences of the Qur'an*. (3rd ed). Riradh: Al-Ma'aref library.

Al- Razi, F (1981). *Al-Tafsir al-Kabir (Mafatih al-ghaib)*. (1st ed). Beiut: Dar al-Firkr.

Al- Sa'di, A. (2000). *Taysir Al-Karim Al-Rahman Fi Tafsir kalam al-Mannan*. (1st ed). Beirut: Al-Resala Foundation.

Al- Sha'rawi, M. (1978). *Mu'jizat al-Qur'an (Miracle of the Qur'an.* (1st ed). Cairo: Al-Mukhtal al-Islami.

Al- Suyuti, J. (1974). *Al-itqan Fi 'ulum Al-Qur'an*. (1st ed). Riyahd: Ministry of Islamic Affairs, Dawah and Guidance.

Al- Zamakhshari, A. (1998). *Basis of rhetoric*. (1st ed). Beirut: Dar al kotob al-Ilmiyah.

Al- Zamakhshari, A. (2009). *Al-kashshaf 'an Haqa'iqwa Ghawamid al-Tanzil*. (3rd ed). Beirut: Daral-Kitab al-arabi.

Al- Zarkashi, B. (1957). *Al-Burhan fi Ulum al-Quran*. (1st ed). Cairo: Dar Ihya' al-Turath

Al- Zurqani, M. (ND). *Manahil al-Irfan fi ulum al-Quran*. (3rd ed). Cairo: Issa al-Babi al-Halabi.

Attar, A. (1980). *The best religion to humanity in terms of the Aqidah and the shari'ah*. (1st ed). Mecca: Ma'roof Printing Press.

Draz, M. (2005). *Al- Naba' al-Azim*. (1st ed). Damascus: Dar al-Qalam.

Ebussuud, M. (ND). *Irshad al-Aql al-SalimilaMazaya al-Quran al-Karim.* (1st ed). Cairo: Dar Ihya' al Turath, Dar al-Mushaf.

Ibn al-Qayyim, M (1999). *Al-Waabil al-Sayyib min al-Kalim al-Tayyib*. (3rd ed). Cairo: Dar al-Hadith.

Ibn Ashur, M. (1984). *Al-Tahrirwa al-Tanwir*. (1st ed). Tunisia: al-Dar al-Tunisia.

Ibn Faris, A. (1979). *Mu'jam Maqayis al-Lugha*. (1st ed). Cairo: Dar al-Fikr.

Ibn Manzur, M (1988). *Lisan al-Arab*. (1st ed). Beirut: Dar al-Jil.

Ibn Taymiyyah, A. (1995). *Majmu' al-Fatawa (Great Compilation of Fatwa).* (3rd ed). Medina: King Fahd Complex For Printing The Holy Quran.

Jijak, M. (2001). *Connotation of the holy Qur'an Surahs' name from a civilized perspective*. Beirut:Al-Risala Foundation.

Khellah, A. (2014). *Dhikr and Believers in the Holy Qur'an, an objective study*. [Unpublished master thesis, Islamic University of Gaza], Gaza.